آثار الحب الإلهي



◄من ثمرات حبّ ا اللمؤمن، من خلال حبّ المؤمن له، أنّه يرزقه الهداية الروحية والغنى السلوكيّ والانفتاح على تحويل ذاته إلى ذات غنيّة بالخير.

لقد وردت النصوص عن رسول ا□ (ص) وعن الإمام علي (ع)، حول ما يجعل ا□ يجب عبده، وذلك في أكثر من مضمون ثقافي روحي، توحي مفرداته بالوثوق بصحته؛ لانسجامه مع الخطوط العامة في الكتاب والسنّة.

الإكثار من ذكر ا∐:

من ذلك ما روي عن رسول ا□ (ص)، بما جاءت به الرواية عن موسى (ع) مناجيا ً ربه: "يا ربّ، وددت ُ أن أعلم من تحب من عبادك فأحبّه. فقال سبحانه: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري، فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبّه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني، فأنا حجبته عن ذلك وأنا أبغضته".

ونستوحي من هذه الرواية، قيمة ذكر ا□ لدى الإنسان، في دلالته على امتلاء ذاته با□، بحيث يأنس

بذكره، في روحيِّته المنفتحة على علاقته به ومحبته له، فلا يغيب عن عقله وقلبه، وعمق وعيه.

ح ُسن العبادة:

وفي الحديث عن الإمام علي "(ع): "إذا أحب "ا عبدا ً ألهمه ح ُسن العبادة"؛ لأن محبة ال له، لا تنطلق إلا من خلال علمه تعالى بما يختزنه هذا الإنسان من صفاء الإيمان وعمق العقيدة وروحية الذات؛ الأمر الذي يفيض عليه من فيوضات المعرفة به، والوعي لجوانب العظمة الربوبية في ذاته المقدسة، فتنفتح له كل "آفاق العبادة من خلال معنى العبودية لربه، فتتحرك العبادة إيمانا ً في عقله، وروحا ً في قلبه، وحركة ً في جسده، في ركوعه وسجوده وابتهاله ودعائه ومناجاته، والعمل بكل " ما يؤدي إلى الحصول على مواقع القرب منه، وهذا هو الذي توحي به كلمة الإلهام لحسن العبادة.

الصدق والأمانة:

وفي حديث آخر عنه: "إذا أحبّ ا[عبدا ً ألهمه الصدق"، هذه القيمة الأخلاقية هي التي أرادها ا[وفي حديث آخر عنه: "إذا أحبّ ال عبدا ً ألهمه الحقيقة من دون زيادة أو نقصان، وتؤكّد سلامة موقف الإنسان في صدق النية والحركة والعلاقة، بحيث لا يلتقي بالكذب في القول والفعل، مما يدمر التصوّر وحركة الواقع. ولذلك فإن محبة ا[للإنسان تجعله في رزق ٍ قيمي ّ أخلاقي وحركي ينفتح فيه على ا[في صدق العبودية، والالتزام بكل ما يعبر عنه في شهادة الإيمان، وفي عهده [وللناس.

وفي حديث آخر عنه (ع): "إذا أحب "ا عبدا ً جب "ب إليه الأمانة"؛ لأنها الصفة الحسنة التي يريدها الله من عباده، ويحب أن تتمثل فيهم، باعتبارها تنبع من عمق الصدق في نفس الإنسان، سواء كانت الأمانة أمانة النفس أو المال أو العرض أو أيّة مسؤولية يتحم لها، فيكون توفيقه إليها كرامة من الله مما يكرم به سبحانه عباده في عملية الالتزام بالأعمال التي يحب ُها من خلقه.

السكينة والحلم:

وفي رواية أخرى عنه: "إذا أحب ا[عبدا ً زيسّنه بالسكينة والحلم"، لأن " ا[ينزل سكينته على المؤمنين كما أنزلها على رسوله، فيحصلون من خلال ذلك على النفس المطمئنة في الهدوء النفسي الذي يوحي بالطمأنينة. وهكذا يريد ا[لأحبائه أن يتحلّوا بالحلم وسعة الصدر وكظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم، لأن " ا[حليم يجب الحلماء ويوفسّقهم للأخذ بأسبابه. وقد قال تعالى في محكم كتابه: (و َسَار ِءُوا إِل َى مَغْ فِر َة ٍ مِن ° ر َب ِ كُم ° و َج َن ّ َة ٍ ع َر ° ضُهاَ السّ مَاو َات ُ و َالأر ° ضُ أُع عِد " َت ° ل ل ل مُ عُنْ فِر آ و َ الأر ين َ ي يُذ ْ فِيقُونَ فِي السّ َر " َاء ِ و َ الضّ َر " َاء ِ و َ الذّ كَاط مِين َ الدُّهُ عَي مُ الله على الله على أن الله على الله الله على الله الله على ال

الرشد والتوفيق للطاعة:

وفي حديث آخر عنه: "إذا أحبّ ا] عبدا ً ألهمه رشده ووفّقه لطاعته"، لأنّ الإنسان الرشيد يواجه الأمور، في صغائرها وكبائرها، بالرشد الفكري الذي يعرف كيف يدرس الأمور ليتعرّف صالحها من فاسدها، ومفيدها من ضارّها، وينطلق في الحياة من خلال الاتّ ِزان العقلي، ويتحرّك فيها في خطّ الاستقامة الحركية، ويبتعد عن الغيّ في أموره كلّها، وبذلك يتحرك نحو الطاعة] باعتبارها السبيل الرشيد للحصول على سلامة المصير في الآخرة. ومن أحبّه ا] تعالى، فإنّه يفيض نعمته عليه بكلّ ذلك.

الاتّعاظ بالعبر:

وفي حديث آخر عنه: "إذا أحبّ ا عبدا ً وعظه بالعبر"، لأنّ ا ال يحب للإنسان أن يعتبر بما مضى لما بقي، وذلك من خلال دراسة الأمور في إيحاءاتها العملية ما يستفيده فيما يستقبل من أوضاعه وأموره، فلا يغفل دروس التاريخ لنفسه وللآخرين، ولا يهمل التخطيط للمستقبل من خلال ما واجهه وفي تجاربه وتجارب الآخرين من العبر الموحية بكلّ خير، فينفتح عمّا يرى في صلاح أمره، ويبتعد عن كلّ ما يؤدّي إلى فساد حياته، وهذا مما يحبه ا اللمؤمن من عباده، لأنّ ذلك هو أقرب الوسائل للنجاح والفلاح.

بغض المال وقصر الأمل:

وفي حديث آخر عنه: "إذا أحب "ا] عبداءً، بغ "من إليه المال، وقص "ر منه الآمال"، ولعل "المقصود هو عدم الاستغراق في حب "المال، بحيث يكون كل "شيء في حياته، حتى إن "ه يتنازل بسبب ذلك عن بعض مسؤولياته الشرعية إذا حالت بينه وبين الحصول على المال. وفي ضوء ذلك، يتول "د في نفسه، من خلال هذا الحب "الإلهي الذي يبادل فيه المؤمن رب "ه حبا ً بحب، فيبغض المال الذي يبتعد به عن ا□، ويجلب له سخطه ويعرضه لعقوبته، ويفقد معه حب "ه.

إن الإنسان إذا أحب ا في عقله وقلبه، وانفتح على سر عظمته المطلقة، فإنه يرتبط به ويذوب في طاعته، فيكون رضوان ا فوق رضا نفسه ورضا الناس من حوله، وينظر إلى الدنيا على أنها مزرعة الآخرة، وأنها الساحة التي يتحرك فيها للقيام بمسؤولياته أمام ا ا، ليحصل على القرب منه، وليفوز بالثواب العظيم الذي يمنحه ا للمتقين من عباده الذين وعدهم بالجنة وبإدخالهم في مواقع رحمته.

وبذلك لا يخضع للدنيا في شهواتنا ولذاتها في مقابل شهوات الجنة ولذاتها، التي ورد أن " فيها "ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسُ مَا أَحُّفْيَ لَهُمْ مَا مَعْن رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسُ مَا أَحُوْهُ مَا أَوْهُ مَا الله عن مَا أَعْرَاهُ مَا جاء به الحديث مَن وقر الله على " (ع). وهذا ما جاء به الحديث عن رسول ال (ص): "حب " الدنيا وحب " الله يجتمعان في قلب ٍ أبداءً". وعن الإمام علي " (ع): "كيف يد "عي حب " الله من قلبه حب " الدنيا "، وجاء في حديث آخر عنه: "كما أن " الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حب " الله وحب الدنيا لا يجتمعان".

أما تقصير الأمل، فإنّه يجعل الإنسان في حالة تفكير في الموت من جهة محدودية أجله، فلا يمتد بالأمل بما يؤدي به إلى الغفلة عن ا□، وبالتالي عن الاستعداد للقائه في الآخرة، وهذا ما جاء به الحديث عن علي " (ع): "ألا إن الخوف ما أخاف عليكم خصلتان؛ اتسّباع الهوى وطول الأمل، أما اتسّباع الهوى فيصد عن الحق "، وأما طول الأمل فينسي الآخرة".

ومن الواضح أن "نسيان الآخرة يؤدي بالإنسان إلى إهمال فروض الطاعة □، والتجرؤ على معصيته، ونسيان موقعه منه، وفي ذلك كل ه الخسارة لمصيره عند ا□، بينما ينفتح قصر الأمل على الإحساس الدقيق بالمسؤولية والاستعداد للآخرة ليلقى ا□ عز "وجل "في يوم القيامة وهو عنه راضٍ، فتفيض عليه الرحمة الإلهية إفاضة الوعي الإيماني الذي يبقى فيه قريبا ً من مواقع القرب إلى ا□، ومن فيوضات محبته له.

القلب السليم والخ ُلم ُق القويم:

وفي حديث آخر عن علي "(ع): "إذا أحب "ا] عبدا ً رزقه قلبا ً سليما ً وخ ُل ُقا ً قويما ً"، فإن "

ال الذي يقل ّب القلوب بإرادته، ويفتحها بلطفه، إذا رأى من عبده الخير في ذاته، والحق في حركته، هداه إلى الصراط المستقيم الذي يرتفع بمشاعره وأحاسيسه إلى الحب للناس في خط الهداية إليهم، والاهتمام بأمورهم، فلا ينعقد على البغض والحقد والعداوة، ولا يخفق بالشر للآخرين، ولا يدخل ذلك في فكره. وهذا ما أراده الله للإنسان الذي يقف بين يديه يوم القيامة كما في قوله تعالى: (يَو ْمَ لا يَنهُ عَالَمُ وَلا بَنهُ ونَ * إِلا مَن ْ أَتَى الله مَن الله حَنهُ الله قيد والذي على الله في فإذا

اط ّلع ا□ على سلامة قلب المؤمن، فإنّه يزيده سلامة ً وانفتاحا ً، وهكذا يفيض ا□ عليه بالطاقة الروحية والألطاف الإلهية والهداية العقلية والاستقامة العملية، ما يحقق له الانسجام في الخط الأخلاقي الذي ينطلق من أخلاقيته في نفسه ومع ربّه ومع الناس كافة، ومع الحياة كلّها، لأنّ حبّه □ الذي يلتقي مع حب ا□ له، هو الذي يشرق في ذاته، فيبتعد عن كلّ ً طلمة تحجب عنه الحقّ والخير والإيمان.

وهكذا نجد من ثمرات حب ا□ للمؤمن، من خلال حبّ المؤمن له، أنّه يرزقه الهداية الروحية والغنى السلوكي والانفتاح على تحويل ذاته إلى ذات غنية بالخير، سائرة في طريق الحقّ، عاملة بالصلاح والإصلاح، وهذا هو الرزق الروحي المعنوي الذي يلتقي — في رحمة ا□ — بالرزق المادي، لأنّ ا□ هو الذي يفيض على عباده بكلّ ِ نعم الوجود في بـُعديه الروحي والمادي.

وهكذا تتفاعل المسألة بين العبد المؤمن وربه، حبا ً من العبد باتّباع أوامر ا□ ونواهيه وامتدادا ً في طاعته، وحبا ً من ا□ بالألطاف الإلهية التي تحقق للمؤمن كلّ خير وتخلّصه من كلّ ِ شرّ، وتقوده إلى سلامة الدارين.

منزلة المؤمن عند ا∐ تعالى:

جاء عن الإمام علي "(ع): "من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند ا□، فلينظر كيف منزلة ا□ منه عند الذنوب، كذلك تكون منزلته عند ا□ تبارك وتعالى ". وفي حديث آخر عنه: "من أحب أن يعلم كيف منزلته عند ا□، فلينظر كيف منزلة ا□ عنده، فإن كل من خ ُي ّ ِر له أمران: أمر الدنيا وأمر الآخرة، فاختار أمر الآخرة على الدنيا، فذلك الذي يحب ا□، ومن اختار أمر الدنيا، فذلك الذي لا منزلة □ عنده ".

إن القصية التي يعالجها الإمام علي (ع) هي أن البرهان على منزلة ا عند الإنسان يأخذ بالحسبان رضوان ا من اختياره لأي عمل من أعماله، وأي قول من أقواله، وأي موقف من مواقفه، وأي علاقة من علاقاته، فإذا كان اختياره في أمر ما يلتقي مع رضا ا من حتى لو كان على خلاف مزاجه أو مصلحته أو على خلاف رضا الناس القريبين منه من حوله، بحيث كان أمر ا قبل أمره، كان ذلك دليلا على منزلة ا عنده بالدرجة العليا التي لا يرى فيها غير ا في نفسه، أما إذا كان اختياره تابعا لرضا الناس أو لشهوته أو لمصالح دنياه التي لا تلتقي مع خط الآخرة، بعيدا عن رضا ا في ذلك، كان ذلك

دليلاً على أنَّ أمر ا□ لا يرقى إلى موقع المحبة عنده، أو إلى سر العبودية في ذاته.

وفي ضوء ذلك، فإن " [] يمنح العبد منزلته في درجته لديه، لأن " [] يرفع عباده إليه بقدر ما يطلع على ما في عقولهم وقلوبهم وحياتهم من محبة له، وطاعة له في حركتهم العامة والخاصة في الواقع. وهذا ما نستوحيه من الآية الكريمة: (قُلُ إِن كُنْ تُكُم تُحَبِّ وُنَ اللَّهَ فَا تَّبِعُ وني يعُوني وهذا ما نستوحيه من الآية الكريمة: (قُلُ إِن كُنْ تَكُم تُحبِبٌ وُنَ اللَّهَ فَا تَّبِعُ وني يعرف كُم اللَّهَ وُ (آل عمران/ 31)، فيما توحيه من أن محبة اللإنسان تابعة لمحبة الإنسان [، في عملية مبادلة حب بحب، ودلالة بدلالة. وهذا ما عبر عنه الإمام جعفر الصادق (ع)، قال: "من أراد أن يعرف كيف منزلته عند ا[، فليعرف كيف منزلة ا[عنده، فإن " ا[ينزل العبد مثل ما ينزل العبد [

ولذلك فإن "أي عبد يبلغ المنزلة العليا عند ا□، بقدر إخلاصه له وتقواه في طاعته، وهذا ما جاء في قوله تعالى: (إِن " َ أ ك (ر َ م َ ك م و ع د د اللا م و أ ت ق اك م و التعرات (الحجرات (13)). وهو ما يوحي بالمنزلة الكبرى للإنسان عنده، من خلال خطوط التقوى البالغة أعلى الدرجات في الطاعة. وقد جاء عن رسول ا□ (ص) قال: "قال ا□: ما تحب "ب إلي " عبدي بشيء أحب " إلي " مما افترضته عليه، وإن "ه ليتحب "ب إلي " بالنافلة حتى أحب "ه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته ". إن " هذا الحديث يحو "ل الإنسان المؤمن التقي إلى رباّاني في كل " ِ كيانه، يتحرك بلطف ا□ ورحمته ورضوانه، ليشمله ا□ بكل " ِ مواقع الحب " عنده.

تحبيب ا الله خلقه:

إن مسؤولية الإنسان المؤمن في محبّته [، أن يعمل على أن يحبّب ا[إلى عباده، وذلك بالأساليب المتنوعة التي تثقف الناس بأسماء ا[الحسنى وصفاته العليا، في مواقع عظمته وامتداد نعمه، بحيث يشعر العباد بأن [سبحانه هو الذي تحبّب إليهم بخلقه ورعايته ورحمته ولطفه، حتى يحبوه حب الإنسان لربّه الذي هو ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة، والكافي من كل شيء، والرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته غضبه، وأفاض كل الطافه عليهم، ليجتمع لهم الإيمان العقيدي بتوحيده، والحب القلبي لذاته القدسية، في آفاق ربوبيته المطلقة التي لا حد الها في زمان ولا في مكان.

وهذا ما جاء الحديث به عن رسول ا□ (ص): "قال ا□ عز وجل لداود (ع): أحب ي وحب بني إلى خلقي، قال: يا رب تنعم، أنا أحب فكيف أحب بني ألى خلقك؟ قال: اذكر أيادي عندهم، فإن فا إذا ذكرت لهم ذلك أحب وني الحديث عن الإمام محم د الباقر (ع): "أوحى ا□ تعالى إلى موسى (ع): أحب ني وحب بني إلى خلقي، قال: موسى (ع): يا رب ، إن لل لتعلم أن له ليس أحد أحب إلي منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى ا□ إليه: فذك رهم نعمتي وآلائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا خيرا تا.

إن هذا هو أحد أساليب الدعوة إلى ا□ في مسألة انفتاح الناس عليه وارتباطهم به ومحبتهم له، فإن معرفة الناس بنعم ا□ عليهم في كل ً أمورهم، في حياتهم العامة والخاصة، يجعلهم يشعرون بالارتباط الوثيق به في وجودهم، ويتعرفون أنه يجس ًد في أياديه كل ّشيء في الواقع الذي يعيشونه، منذ بداية خلقهم إلى نهاية حياتهم، فإن ّالقلوب مجبولة على حب ّ من أحسن إليها، فكيف إذا كان المحسن في موقع ا□ في رعايته لعباده؟!

وربِّما يبرز هنا سؤال: ما هي حاجة ا□ إلى محبة خلقه له، وهو الغني المطلق عن عباده بذاته، وهم الفقراء إليه؟

والجواب، أن القضية لا تتصل بحاجة ا□، بل تتصل بحاجة الخلق إلى ربهم، تماما ً كما هي المسألة في معرفتهم به التي حث هم عليها، لأن هم إذا أحبوا ا□، أطاعوه وانفتحوا عليه، وإذا عرفوه، خضعوا له وعبدوه، وهذا مما يرجع بالخير عليهم في صلاح أمرهم، من خلال المصالح التي تحصل لهم بالطاعة، والمفاسد التي يبتعدون عنها بالبعد عن المعصية.

الحبّ والبغض في ا∐:

ومن مظاهر محبة الإنسان [، أن يكون ا[في سر" الإيمان به هو الأساس في مسألة الحب للناس والبغض لهم، بحيث تكون مشاعره تابعة ً لعلاقة الآخرين با السلبا ً وإيجابا ً، فيكون الحب للمؤمن من خلال إيمانه با وعلاقته به وولايته له، ويكون البغض لأعداء ا من خلال عداوتهم وسخط ا عليهم. وفي هذا دلالة على أن " ا هو الذي يحكم ارتباطات الإنسان بعيدا ً عن النوازع الذاتية والعناصر الشخصية، فإذا عرف المعده أن " من عبده أن " من يحب الآخرين من خلال قربهم إليه، ويبغضهم من خلال بعدهم عنه، عرف منه صدق الإيمان به والمحبة له، وبالتالي يكون مجردا ً من العوامل الذاتية التي تلتقي بمصالحه الخاصة وشهواته

وهذا ما ورد عن رسول ا [(ص): "أفضل الأعمال الحبّ في ا [والبغض في ا [". وفي حديث آخر عنه: "ما تحابّ اثنان في ا [إلا كان أفضلهما أشدّهما حبا ً لصاحبه". وفي حديث آخر عنه: "حقّت محبّتي للمتحابّين، في ّ َ، وحقّقت محبتي للمتواصلين في ّ َ ". وتتعاظم المسألة في حديث آخر عنه (ص): "الحب في ا [فريضة، والبغض في ا [فريضة"، حيث اعتبرها من الفرائض النفسية التي لابد ّ للمؤمن من أن يخضع لها في عقله وشعوره، لأنها هي التي تدل على عمق الإيمان با [والمحبة له، بحيث لا ينفتح على شيء أو أي شخص إلا من خلال علاقته با [.

وجاء عن الإمام محمّد الباقر (ع): "إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا ً، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة ا□، ويحبّ أهل عصيته، ففيك خير وا□ يحبّك، وإن كان يبغض أهل طاعة ا□، ويحبّ أهل معصيته، فليس فيك خير وا□ يبغضك، والمرء مع من أحبّ". وفي هذا دلالة على أن ّ التوافق في الحب والبغض، هو الذي يجمع الناس في يوم القيامة، لما يعبر عنه الحب والبغض من الالتقاء في الموقف الذي يتحول إلى الالتقاء في المصير.

وجاء عن الإمام جعفر الصادق (ع) في الجانب السلبي من المسألة: قال: "كلّ من لم يحبّ على الدين، ولم يبغض على الدين، فلا دين له"، لأنّ هذه السلبية في النظرة إلى التزامات الآخرين سلبا ً أو إيجابا ً، تدل على سلبية التزامه بدينه. وفي الحديث عن رسول ال (ص) لبعض أصحابه: "يا عبد الله أحبّ في الله والله والله والله والله والله في يومكم هذا أكثرها في الإيمان، وإن كثرت صلاته وصيامه، حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس في يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون، وعليها يتباغضون".

وفي حديث عن الإمام علي (ع): "أحبب في ا□ من يجاهدك على صلاح دين، ويكسبن ّك حسن يقين". فإن ّ هذا الإنسان هو الذي يرتبط بك من أجل ا□ ليصلح لك دينك، وليقو ّي يقينك، ليقر ّ ِبك إلى ا□، ما يفرض عليك أن تحبه في ا□ و□، لأن ّه يسير بك في الطريق إلى ا□.

وفي نهاية المطاف، نلتقي بحديث للإمام زين العابدين (ع) لما قال له رجل: "إني لأحبّك في ا□ حبا ً شديدا ً، فنكّس الإمام (ع) رأسه ثمّ قال: اللّهمّ إني أعوذ بك أن أُحبّ فيك وأنت لي مبغض، ثمّ قال له: أحبّك للذي تحبني فيه".◄

المصدر: كتاب الندوة/ 18